٩- سورة التوبة

باب التوبة مفتوح للجميع.

(١) ما معنى التوبة:

التوبة: تعني العودة إلى الله واللجوء إليه والإقلاع عن الذنوب والمعاصي.

ووردت لفظة (التوبة) ومشتقاتها في هذه السورة ١٧ مرة، وهي أكثر سور القرآن إيرادًا لكلمة (التوبة)، بينما ذكرت في سورة البقرة ١٣ مرة، وآل عمران ٣ مرات، والنساء ١٢ مرة، والمائدة ٥ مرات، وهود ٦ مرات، والأنعام مرة واحدة.

إذًا أكثر سورة وردت فيها كلمة التوبة هي هذه السورة التي بين أيدينا، والملفت أنها لم تذكر نوعًا من طوائف المجتمع إلا وذكرته بالتوبة: الكفار والمشركين والمرتدين والمترددين والمنافقين والعصاة والمؤمنين الصالحين، حتى النبي ﷺ والصحابة، فكلما تحدثت السورة عن فئة منهم نراها تذكرهم بالتوبة أو تخبرهم بأن الله تعالى قد تاب عليهم.

(٢) رسالة السورة: فتح باب التوبة للجميع.

فبالرغم من أن السورة قد تضمنت التهديد الشديد للكفار والمنافقين، لكنها حرصت على إبقاء باب التوبة مفتوحًا لجميع الناس، وتدعوا الجميع إلى التوبة في مرات عديدة.

بعض الناس حين يقرأ هذه السورة يشعر بشدتها على الكفار والمنافقين، والبعض الآخر يقرأها فيشعر برحمة الله الواسعة والتي تتجلى في قبوله التوبة من جميع البشر، وهؤلاء أقرب إلى فهم معاني السورة، لماذا؟

١- لأن ما فيها من شدة وتهديد ووعيد إنما هو لحمل الكفار والمنافقين على التوبة.

٢- حتى فضح المنافقين كان لحملهم على التوبة، كمن يبتليه الله ببلاء ليكون سببًا في عودته.

٣- وحتى دعوة المؤمنين للقتال جاء لحمل الكفار على التوبة بعد أن يئسوا من القتال.

وإن كان الأمر كذلك بالنسبة للكفار والمنافقين، فما الحكم في المؤمنين الذين قد عصوا ربهم؟! أيتوب تعالى عليهم أم لا؟! فإن كان تعالى يقول عن الكفار: ﴿فَإِن تَابُواْ... فَإِخْوَانُكُمْ فِي ٱلدِّينِ﴾ (١١) فما بالك بمن ارتكب بعض المعاصي من المؤمنين؟

إذًا سورة التوبة هي من أكثر السور التي تزيد أمل المؤمن ورجاءه برحمة الله تعالى.

(٣) أسماء السورة:

١- الاسم التوقيفي: "التوبة"، و"براءة".

٢- معنى الاسم: التوبة: ترك الذنب مع الندم، وبراءة: مصدرُ الفعل (برأ) بمعنى خَلِص، وبراءة: أي إعذار وإنذار.

٣- سبب التسمية: هي أكثر سورة وردت فيها كلمة التوبة ومشتقاتها، وسميت "براءة" لأنها مفتتحة بها، وهي تسمية لها بأول كلمة منها.

٤- أسماء أخرى اجتهادية: "الفاضحة" لأنها فضحت المنافقين وكشفت أسرارهم، و"المُقَشقِشة" أي: المبرِّئة من النِّفاق.

(٤) جدول السورة:

ترتيبها:	في المصحف: ٩	في النزول: ١١٣	في الطول: ٧	
تصنيفها:	مدنية: ٢٨/٦	السبع الطوال: ٧/٧		
عدد:	الآيات: ١٢٩	الصفحات: ٢١	١,٠٥ جزء	٢,١ حزب	٨,٥ ربع
موقعها:	بدايتها في الجزء: ١٠	نهايتها في الجزء: ١١		

فاتحتها:	الجمل الخبرية: ٢/٢١

(٥) من خصائص السورة (مما تتميز به السورة عن غيرها):

١- هي السورة الوحيدة التي لم تبدأ بـ "بسم الله الرحمن الرحيم"، كما هو الحال في كل سور القرآن؛ لأنها تضمنت التهديد الشديد للكفار والمنافقين وفضحهم، فحرموا من البسملة ومن معاني الرحمة الموجودة فيها، فكانت أولى كلماتها: ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى ٱلَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

٢- تمتاز بكثرة أسمائها، فهي تأتي بعد سورة الفاتحة في كثرة الأسماء، ومعظم هذه الأسماء أطلق عليها بسبب ما فيها من دلالات وصفات تفضح المنافقين.

٣- أفاضت في الحديث عن المنافقين وصفاتهم إفاضة لا توجد في غيرها من سور القرآن الكريم.

٤- ذكرت فيها أحداث غزوة تبوك، وهي آخر غزوات الرسول ﷺ في رجب ٩ هـ.

٥- أكثر سورة وردت فيها كلمة التوبة ومشتقاتها، ولذا لم تذكر فئة إلا وحثتها على التوبة: كالكفار، والمشركين والمنافقين والعصاة والمؤمنين.

(٦) مقصد السورة: باب التوبة مفتوح للجميع.

(٧) خرائط السورة: ملف الخرائط.

(٨) موضوعات السورة: آخر الملف.

(٩) علمتني سورة التوبة:

١- **علمتني سورة التوبة** أن التوبة اعلان للبداية الجديدة، إعلان للحياة الجديدة، إعلان للهجرة من الظلمات إلى النور، من الضيق الى السعة، من الحزن إلى السعادة.

٢- **علمتني سورة التوبة** أنّ الجهاد سبيل الأمة إلى العزّة، وطريقها إلى الريادة، متى أقامته قويَت وعزّت، وإذا تخلّت عنه ضعفت وهانت.

٣- **علمتني سورة التوبة** أنّ الإيمان هو أقوى أسلحة المؤمن ضد العدو، فمن لا يخشى أحدًا إلا الله هو أجرأ الناس وأقوى الناس وأشجع الناس، وما أعدّ المؤمن لعدوّه مثل إيمانه بربّه.

٤- **علمتني سورة التوبة** أنّ محبة الله ورسوله ودينه يجب أن تكون أغلى من كلّ شيء سواها، فإن تحقق ذلك فثمّ النصر والسعادة في الدنيا والآخرة، وإن تقدم شيء من الحظوظ العاجلة عليها كانت الهزيمة والحسرة والندامة في الدنيا والآخرة: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ (٢٤).

٥- **علمتني سورة التوبة** أن الظلم في الشهر الحرام أعظم خطيئة ووزرًا من الظلم فيما سواه، وإن كان الظلم على كل حال عظيمًا ولكن الله يعظم من أمره ما شاء: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ (٣٦).

٦- **علمتني سورة التوبة** ألا أتناول شعائر الدين وأحكامه بسخرية واستهزاء، ولو على سبيل المزاح والضحك، فالخائض فيها على خطر عظيم: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ (٦٥، ٦٦).

٧- **علمتني سورة التوبة** أن العبادات تمارين نفسية تروض نفوسنا وتنتزع منا الأنانية: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ

وَتُزَكِّيهِمْ﴾ (١٠٣)، فبالعطاء تغرس مشاعر الحب والتآخي، وتُزكي نفسك قبل مالك، وتؤكد صدق إيمانك.

٨- علمتني سورة التوبة أن أعلن البيعة لله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ (١١١).